خطط الراشدين فى البحر المتوسط

د. عبد العزيز بن إبراهيم العمرى(*)

غدت الدولة الإسلامية بعد امتدادها فى عصر الخلفاء الراشدين إلى مصر والشام تحكم مناطق مطلة على البحر الأبيض المتوسط ، تعد من أكثر الأماكن المطلة عليه أهمية ، وبالتالى فإنها اضطرت لعمل خطط خاصة بأملاكها وقواتها ورعاياها فى المنطقة وكانت هذه الدولة فى بداية أمرها وخصوصا فى عصر عمرو رضى الله عنه لا ترغب فى خوض غمار البحر واضطرت للتخطيط فيما يتعلق بأملاكها الساحلية عن طريق الدفاع والقوات البرية ، إلا أن هذه السياسة والخطط تعرضت للتغيير وخصوصا فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وذلك بعد تزايد الخطر البحرى الرومى ، والهجوم المتكرر على المدن الساحلية فى مصر والشام ، مما اضطر معه عثمان رضى الله عنه وبمساعدة قيادات الدولة الإسلامية للعمل على إيجاد قوات بحرية رادعة تقف فى وجه بحرية الروم بل وتهددها فى عقر دارها . وعملت دور الصناعة فى مصر والشام على تجهيز الأساطيل الإسلامية وما تستلزمه من احتياجات فى خطة منتظمة استفاد فيها المسلمون من الأقباط فى مصر والنصارى فى الشام ، الذين لم يترددوا فى تقديم خبراتهم للجيوش الإسلامية فى ميدان التجهيز والملاحة ، فى مقابل التسامح والبذل الذى قام به المسلمون فى تلك المناطق ، حيث شعر أولئك بالأمان فى العمل مع المسلمين لأنفسهم ولبلدانهم وشعوبها . وقد أعدت الجيوش الإسلامية فى البحر فى فترة وجيزة، وأبدى المسلمون تطوعهم للتجنيد فى الجهاد البحرى كما كانوا فى البر ، وجاهدوا بحرا فى مواقع مختلفة ، حيث تمكنوا من فتح قبرص وأرواد ونزلوا فى رودس وهددوا سواحل اوربا وأصبحت لهم السيطرة البحرية ، وخصوصا بعد موقعة ذات الصوارى . واستبسل عدد من الصحابة والتابعين فى تلك التحركات

(*) أستاذ التاريخ الإسلامى المشارك - كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض .

البحرية ، التى شـــارك فيها النســـاء مـــع الرجـــال ، والتـــى رعتهـــا الدولـــة الإسلامية ، وهكذا فإن المسلمين فى عصر الراشـــدين خططوا للجهاد فـــى البحـــر كما فعلوا فى البر .

والمصادر المختلفة فى التاريخ الإسلامى تتحدث عن تلـــك الروايـــات التـــى نستشهد بها فى الحديث عن تلك الخطط والإنجازات ، فـــى مراحلـــها وتغيراتـــها المختلفة ، كما أن مصادر التاريخ البيزنطى تتحدث عن نفس الموضوعات بما يخدم الباحث فيها ، ويمكننا أن نقول باختصار إن المسلمين ترددوا فى التخطيط والغـــزو البحرى فى البحر المتوسط فى خلافة عمر نظرا لظروف واقعية كان يدركها عمـــر أكثر من غيره ، تتعلق بالقدرات والاستعداد . وحينما زالت هـــذه الظـــروف فـــى خلافة عثمان غير الخطة . وغزا المسلمون البحر وأصبح لهم قواعدهم وتجهيزاتهم الخاصة ، وصرف عثمان عليها الكثير من بيت مال المسلمين ، ساعده على ذلـــك القواد وعامة المسلمين بما لديهم من قناعات مؤصلة فى الجهاد البحرى وشـــرعيته وأهميته، ونجح عثمان رضى الله عنه وجيشه فى قهر الروم فى البحر فـــى وقـــت قهرهم المسلمون فى البر . وهكذا فإن المسلمين فـــى عـــهد الراشـــدين ببســـاطتهم وواقعيتهم خططوا فأنجزوا وعملوا فاعجزوا واجتـــهدوا فقـــادوا ونزلـــوا البحـــر وانتصروا فيه وسادوا فى سواحل البحر المتوسط كما سادوا فى ســـواحله الشـــرقية والجنوبية .

عصر الراشدين

يعد العصر النبوى بداية التأسيس لدولة الإسلام وإقامة المجتمع المسلم فى بقعة من ارض الله ، وكانت البداية الواقعية لهذا المجتمع وتأسيس كيانه المستقل من الهجرة النبوية وتكوين قاعدته فى المدينة المنورة فمنذ ذلك اليوم وكيان الدولة الإسلامية قائم يسوسه الرسول ﷺ .

كانت البداية بسيطة لا تتجاوز المدينة المنورة بل لا تكاد تسيطر عليها جميعا وأخذ نور الله يتم فى المدينة ، وأخذت دولة الإسلام تمتد خارجها تدريجيا بالجهاد والسلم حتى صارت معظم بلاد العرب خاضعة لرسول الله ﷺ وخصوصا بعد فتح مكة حيث دخل الناس فى دين الله أفواجا[١] ، لقد كان عصر النبوة المبارك ودولته القائمة بقيادة الرسول ﷺ مقدمة لعصر الراشدين ، كما أن الرسول ﷺ قرن بين العصرين[٢] .

ولذلك فإن عصر الراشدين يعد أميز العصور الإسلامية على الإطلاق بعد عهد النبى ﷺ وقد أجمعت الأمة على ذلك خلال العصور المختلفة ، وبالتالى فإن أحداثه لها أهميتها الخاصة فى التشريع والقياس والتاريخ[٣] .

ويبتدأ عصر الراشدين ببيعة ابى بكر الصديق رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة النبوية[٤]. وينتهى باستشهاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب — رضى الله عنه — فى اليوم الثالث والعشرين من رمضان سنة أربعين للهجرة النبوية[٥] .

وقد انشغل المسلمون فى اول خلافة أبى بكر بالقضاء على المرتدين فى بلاد العرب وإخماد الفتن التى آثاروها وإعادة الوحدة لبلاد العرب تحت راية الإسلام[٦]، كما كانت بداية الفتوح فى خلافة أبى بكر — رضى الله عنه — ضد فارس والروم.

فكان لهذا العصر سماته المميزة ، حيث خاض المسلمون جهادا قويـــا ضـــد المجاورين لبلاد العرب من المجوس فى فارس ، والروم وأتباعهم فى الشام ومصـر وكان جزء من هذا الصراع مع نصارى العراق والشام ، وخصوصا من وقف منهم مع الفرس أو الروم .

وقد نتج عن هذا الجهاد امتداد الإسلام إلى أماكن جديدة وتضـــاعف رقعـــة الأراضى المحكومة من قبل الراشدين وخصوصا فى عهد عمر — رضى الله عنـــه — ومن جاء بعده ، وتبع ذلك تعدد الشعوب واللغات ، والاختلاط بحضارات ونظـــم كانت سائدة فى العديد من الأقاليم التى تـــم ضمـــها للدولـــة الإســـلامية ، كمـــا أن الراشدين أطلعوا على تلك النظم وعرفوا الأساليب المدنية والعسكرية المختلفة التـــى كانت سائدة فيها من دواوين وبريد ودور أموال وضـــرب للعمـــلات ، وتنظيمـــات إدارية وعسكرية ، وغير ذلك مما يصعب حصره ، فأفادوا ممـــا رأوه لا يعـــارض جوهر الإسلام وقواعد العدل فيه ، وبالتالى فإن هذا العصر تميز بالانفتـــاح علـــى الحضارات القديمة السائدة فى المناطق التى سيطر عليـــها المســـلمون ومـــع هـــذا الانفتاح فإن المسلمين بقوا على ثوابتهم ، بل ونشروها فى المجتمعات المفتوحـــة ، ولم يجمدوا على ما يقبل التغيير والتحسين فحسنوها إلى الأفضل ، فنمـــت الدولـــة والمجتمع ، وتطورت أساليبهم الإدارية والعسكرية لتستوعب النمو فى رقعة الدولـــة والزيادة فى الرعية، والتغير فى الظروف فكانوا عامل نمو وانضباط لمجتمع جديد.

وعندما حدثت الفتنة الكبرى فى أخره أدت إلى استشهاد أمير المؤمنين عثمان ابن عفان — رضى الله عنه — ، وما تلى ذلك من أحداث امتدت طيلة خلافة علـــى ابن أبى طالب — رضى الله عنه — لكنها لم تمنع المسلمين من سد ثغورهـــم أمـــام الروم وغيرهم فى البر والبحر(٧) .

البحر المتوسط الموقع والأهمية :

يعرف هذا البحر عند العلماء العرب ببحر الشام أو بحر المغـــرب أو بحـــر الروم(٨) ويكسب أهميته من عدة أمور منها ما يرتبط به من أنشطة بشرية مختلفـــة

وعلاقات دولية متعددة ، وما يرتبط بذلك مـــن خصـــائص اجتماعيـــة واقتصاديـــة وحضارية متنوعة[٩] ، ومن هذا المنطق فإن البحر المتوسط يعد أهم البحـــار فـــى العالم منذ القدم ، حيث تقع عليه أقدم الحضارات فى مصر والشام وجنـــوب أوربـــا وغرب بلاد الأناضول ، وقد تميز هذا البحر بامتداده الواســـع مـــن الشـــرق إلـــى الغرب، وباستيعاب عدد من المدن التجارية ذات الحضارة المميزة عبر التاريخ مثـل الإسكندرية ومدن الشام الساحلية وبعض المدن الأوربيـــة الهامـــة وعلـــى رأســـها القسطنطينية ، كما تقع فى هذا البحر العديد من الجزر والمدن المأهولة ذات النشـاط البشرى الاقتصادى والعلمى والحضارى المختلف ، التى لها تأثير علـــى مجريـــات الأحداث فى العالم عبر العصور هذا فضلا عن انتعاش الزراعة والتجـــارة علـــى جوانبه المختلفة وبالتالى فإن أهمية هذا البحر واضحة جلية عـــبر العصـــور[١٠] ، وتبرز الأهمية لهذا البحر كلما زاد الصراع بين الحضارات الواقعة علـــى جوانبـــه المختلفة[١١] ، أو نشبت المعارك والحروب فيما بينها ، ويمكننا أن نعتبر هذا البحـــر تاريخيا أنشط البحار ، وما تسميته بالبحر المتوسط إلا لتوسطه الفريد بين القـــارات والحضارات ، يقول عنه ابن خلدون : (ويسمى البحر الرومـــى والبحـــر الشـــامى نسبة إلى أهل عدوته والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوتيه يعانون مـــن أحواله ما لا تعانيه أمة من أمم البحار فقد كانت الروم والإفرنجة والقـــوط بـــالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومى وكانت أكثر حروبهم ومتاجرهم فى الســـفن فكـــانوا مهرة فى ركوبه والحرب فى أساطيله)[١٢] .

وكانت القوافل عبر العصور تربط البحر المتوسط بالتجار فى بـــلاد العـــرب وفارس وغيرها ، وقد راودت بعض الحكام فكرة ربطه ببحر القلـــزم (الأحمـــر) عن طريق قناة مائية وكان من هؤلاء هارون الرشيد ، الذى فكر فـــى هـــذه القنـــاة (التى حفرت بعد ذلك بعشرات القرون وسميت قناة السويس) فمنعه من ذلك بعـــض مستشاريه بقوله : « كان يختطف الروم الناس من الحرم وتدخـــل مراكبـــهم إلـــى الحجاز »[١٣] .

وقد ورد عند المفسرين للقرآن الكريم ما يؤيد هذه التسمية فقد قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ والبحر المسجور ﴾[١٤] أنه البحر المتوسط : « إن هذه البحر بركة يعنى بحر الروم وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه »[١٥] .

العرب والبحرية :

قبل الدخول فى الحديث عن البحرية فى عصر الراشدين لابد من معرفة الأوضاع التى كانت عليها بلاد العرب فيما يتعلق بالبحرية سواء قبل الإسلام مباشرة أم قبل عصر الراشدين خلال العصر النبوى ، حتى يتبين لنا المستوى الذى كان عليه العرب والمسلمون قبل عصر الراشدين فى هذا المجال . تحيط البحار ببلاد العرب من جهاتها الثلاث ، وبالتالى فقد كانوا على صلة بالبحر قبل الإسلام ، إلا أن الحكم على العرب بشكل عام فى المعرفة البحرية سلبا أو إيجابا يعد بعيدا عن الواقع ، ولذلك فإنه لابد من التفريق بين الأقاليم المختلفة من بلاد العرب فى مستوى المعرفة بالبحر وفنونه .

ففى مناطق الخليج فى الشرق نجد أن أهل البحرين وعمان على دراية بالبحر منذ العصور القديمة[١٦] ، حيث كانت لهم صلات بحرية قوية ببلاد فارس فى الناحية الأخرى من الخليج ، وكذلك ببلاد الهند وما وراءها ثم تأتى اليمن فى المقلم الثانى بحكم موقعها الجغرافى وعلاقاتها بالحبشة وامتداد تلك العلاقة إلى الشرق ببلاد الهند وما ورائها[١٧] .

أما أهل الصحراء فى وسط الجزيرة فكانوا عديمى الخبرة بالبحر وركوبه ومختلف أموره ، بحكم موقعهم وعدم حاجتهم لتلك المعرفة .

وأما أهل الحجاز وتهامة فقد كانت لهم معرفة محدودة بالبحر ، حيث كانت لديهم بعض الموانئ القريبة من المدن ، والتى كان أهلها يركبون البحر ويتصلون

بالعمل فيه على نطاق ضيق مثل ميناء الشعيبة قرب مكة المكرمة ، الذى كانت تمر به بعض سفن الروم ، المتوجهة إلى الحبشة ، حيث ذكر تحطم إحدى هـذه السـفن بالقرب من الشعيبة(١٨) ، قبل البعثة النبوية بقرابة خمس سـنوات ، وكـانت هـذه السفينة تحمل الأخشاب وبعض مواد البناء التى اشتراها أهل مكة فكانت عونا لـهم فى بناء الكعبة(١٩) .

كذلك تدل الأخبار المتفرقة على أن الذين هاجروا من أصحاب النبى ﷺ إلـى الحبشة — ركبوا البحر إما من بعض المواقع فى تهامة (السـاحل الحجـازى) أو من سواحل اليمن(٢٠) ، حيث كان لليمن نشاط بحرى مع الحبشة ومع الـهند ، فـى عصور مختلفة قبل الإسلام(٢١) .

كما كان من أحكام الإحرام بالحج والعمرة تحريم الصيد البرى وإباحة صيـد البحر مما يدل على معرفتهم بالبحر والصيد ويقول الشاعر طرفة بن العبد(٢٢) .

كـأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد

عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدى

يشق حباب الماء حيزموها بها كما قسم الترب المفايد باليد(٢٣)

ولا شك أن الشاعر العربى عمرو بن هند(٢٤) كان مبالغا حينما قال :

ملأنا البـر حتى ضاق عنا وموج البحر نملؤه سفينا(٢٥)

وهو وإن كان مبالغا فى ذلك إلا أن فيه دليل على الوجود البحرى ومعرفـة العرب للسفن قبيل الإسلام بل وتمييزهم بين أسمائهم وأنواعها .

ويقلل ابن خلدون من مهارة العرب البحرية مقارنة بغـيرهم وقبـل امتـداد الإسلام واستفادتهم من خبرة غيرهم فيقول : « أن العرب لبداوتهم لم يكونوا مـهرة

فى ثقافته وركوبه ، والروم والإفرنجة لممارستهم أحواله ومرباهم فى التقلب على أعواده مرنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته »[٢٦] .

ولا شك فى أن معظم ما نسب للعرب من تقدم فى علوم البحار يعود للعصور الإسلامية ، حيث أن معلوماتهم فى هذا الجانب قبل الإسلام تعد محدودة مقارنة بغيرهم من الأمم الأخرى وبما حصلوا عليه بعد الإسلام واحتكاكهم بالأمم الأخرى . واهتمامهم بهذا الجانب .

المعرفة البحرية فى العصر النبوى :

نزل القرآن على رسول الله ﷺ للناس كافة ، وجاءهم بعلوم الدين والدنيا وقد ورد الحديث عن البحر فى القرآن الكريم فى اثنين وأربعين موضعا مشيرا إلى فوائده وأهميته فى النقل والاتصال وما فيه من سفن يقول تعالى : ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾١٦٤ البقرة .

ويقول تعالى : ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار ﴾ ٣٢ إبراهيم .

وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ ٦٥ الحج .

كما قال تعالى : ﴿ وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام ﴾ ٢٤ الرحمن .

كما تحدث الكتاب العزيز عن منافع البحار المختلفة فى قوله تعالى : ﴿ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ ١٤ النحل .

ويقول تعالى : ﴿ وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ ١٢ فاطر .

كما قال تعالى : ﴿ الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ ١٢ الجاثية .

كذلك أشار القرآن الكريم إلى الملاحة فيه وما يحتاج البحار من الأهتداء والدلالة على الطريق بقوله تعالى : ﴿ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ ٩٧ الأنعام .

ويقول تعالى : ﴿ ومن آياته الجوارى فى البحر كالإعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور * أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ﴾ ٣٤ الشورى .

وأشار إلى الرياح وأهميتها فى الملاحة وأنها من رحمة الله لأهل البحر فى قوله تعالى : ﴿ أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أئلة مع الله تعالى الله عما يشركون ﴾ ٦٣ النمل .

وأشار إلى الموج وظلمات البحر فى قوله تعالى : ﴿ أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ ٤٠ النور .

كما تحدث القرآن عن إفساد الناس فى البحر كإفسادهم فى البر وذلك فى سورة الروم (وهذا البحث يتعلق ببحر الروم) أو بحر الشام يقول تعالى : ﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ﴾ ٤١ الروم .

التوجيه النبوى وأثره فى خطط المسلمين البحرية :

كان الرسول ﷺ يتحدث لأصحابه باستمرار عن ما ستناله هذه الأمـــة مـــن فتوح وما ستسيطر عليه من مواقع مختلفة ، وكان بهذا يوجه أنظارهم لهذا الأمـــر بل ويدعوهم بطريقة مباشرة وغير مباشر للمشاركة فيما سيحصل من فتح بحـــرى وغيره ، وفى تصورى أن هذا وإن كان إخبارا بالغيب لا ينطق به الرســـول مـــن عنده ، إن هو إلا وحى يوحى إلا أنه كان ذا أثر بالغ فى التخطيط لغـــزو البحـــر ، ومنه ما يتعلق بالبحر المتوسط الذى ورد على لســـان رســـول الله ﷺ بالاســـم أو الإشارة تسمية وصدقه واقع الأحداث ، ومن أشهر ذلك ما رواه البخارى فى (بـــاب ما قيل فى قتال الروم) عن أم حرام أنها سمعت النبى ﷺ يقول : (أول جيش مـــن أمتى يغزون البحر قد أوجبوا قالت ام حرام قلت يا رسول الله أنا فيهم قال أنت فيـــهم ثم قال النبى ﷺ أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم فقلت أنا فيـــهم يا رسول الله قال لا)[٢٧] .

ولا شك فى أن هذا الحديث كان دافعا للصحابة للغزو فى البحر والتخطيط لـــه سواء غزو الروم عامة من البحر أو غزو القسطنطينية خاصة ، وهى أهم قواعـــــد الروم على البحر المتوسط ، وهذا الحديث من معجزات رسول الله ﷺ[٢٨] .

وقد وردت ألفاظ فى تسمية البحر المتوسط بتسمية أخرى منها قوله : (أنـــاس من أمتى عرضوا على يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرة)[٢٩] .

وقد استلفتت هذه الرواية وغيرها نظر البخارى فوضع بابا فى صحيحه ســـماه (باب ركوب البحر) . كما وضع مسلم فى صحيحه بناءا على هذه الروايـــــة بابـــا سماه (باب فضل الغزو فى البحر)[٣٠] .

وقد ذكر ابن المبارك فى كتابه الجهاد أن رســـــول الله ﷺ قـــال : « إنكـــم ستجندون أجنادا وتكون لكم ذمة وخراج وسيكون لكم على ســـيف البحـــر مدائـــن

وقصور فمن أدرك ذلك فاستطاع أن يحبس نفسه فى مدينة من تلك المدائن أو قصر من تلك القصور حتى يموت فليفعل » . وقال : « ومن نزل منزلا يخيـــف فيـه المشركين ويخيفونه حتى يدركه الموت كتب به كأجر ساجد لا يرفع رأسه إلى يـوم القيامة وأجر قائم لا يقعد إلى يوم القيامة وأجر صائم لا يفطر »[٣١] .

كما أن رسول الله ﷺ قال : «من لم يـــدرك الغـزو معـى فعليـه بغـزو البحر »[٣٢] .

ولم يقتصر الحديث النبوى على ركوب البحر للجهاد والغزو فقط بل ورد مـا يدل على طلب التجارة فى البحر من خلال بعض الأحاديث ممـــا دفـع البخـارى لوضع باب فى صحيحه وضع له عنوانا سماه (باب التجارة فى البحر)[٣٣] .

كما وضع بابا سماه (باب ما يستخرج من البحر)[٣٤] .

خطط الراشدين فى البحر المتوسط

عهد أبى بكر الصديق :

كان عصر ابى بكر الصديق قصيرا جدا مقارنة ببعض الخلفاء الراشـــدين ، وقد انشغل رضى الله عنه بقتال المرتدين من العرب ، وما أن فرغ منهم حتى وجـه أجناد المسلمين للقتال ضد فارس والروم فى وقت واحد ، وكـانت معظـم جـهوده موجهة للقتال البرى . ومع أنه — رضى الله عنه — خطط لفتح الشام بما لها مـــن سواحل على البحر المتوسط إلا أن تلك الخطط لم تتم فى فترة خلافته ، حيث كـــان المسلمون والروم يعدون لمعركة اليرموك الحاسمة التى غيرت مجرى الأحداث فـى بلاد الشام بما فيها المواقع الساحلية ، ولا تظهر لنا الروايات أخبارا تذكر عن نشـاط للمسلمين فى بحر الشام (المتوسط) خلال فترة ابى بكر لبقائـــهم فـــى الأطـراف الجنوبية من الشام وعدم وصولهم للساحل خلال خلافة أبى بكر – رضى الله عنـــه — ونكاد نجزم إن الموقف البحرى للمسلمين لم يتغير عن ما كانت عليه العرب فـى الجاهلية وزمن النبى ﷺ .

عهد عمر بن الخطاب :

امتدت الدولة الإسلامية فى أيام عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إلـــى أصقاع مختلفة من بلاد الشام ومصر ، ومن ذلك شواطئ البحر المتوسط الشـــرقية المرتبطة ببلاد الشام ، وشواطئ مصر الشمالية ، وبالتالى كـــان مضطـرا للعمـل والتخطيط فى البحر المتوسط — على شواطئه فى مصر والشـــام — حيـث اهتـم بتحصين الموانئ والسواحل .

والحديث العملى عن خطط المسلمين لركوب البحر مجاهدين يبدأ مع عمر بن الخطاب – رضى الله عنه — سواء منها ما يتعلق ببحر الروم أم بالبحار والخلجـان الأخرى التى كانت تدخل فى نطاق الدولة الإسلامية أيام عمر بن الخطاب ، فتذكـر

الروايات وقائع مختلفة أدت لوقوع جماعات من المسلمين فـــى أخطـــار ومـــهالك بحرية. وهذا يعنى ابتداء وجود تخطيط لهذا الأمر ، وممارسة بحرية من قبل أمراء عمر حيث قام بعضهم بالعبور من عمان إلى السند فقد روى البلاذرى قال : ولـــى عمر بن الخطاب – رضى الله عنه — عثمان بن أبى العاص الثقفـــى[٣٥] البحريـــن وعمان سنة خمس عشرة فوجه أخاه الحكم إلى البحرين ومضى إلى عمان فـــأقطع جيشاً إلى تانه بالهند[٣٦] . فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يعلمه ذلك فكتـــب إليـــه عمر يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود وإنى أحلف بالله أن لو أصيبوا لأخذت مـــن قومك مثلهم[٣٧] .

ومن ذلك أن عمر بن الخطاب بعث سنة عشرين للهجرة النبوية علقمـــة بـــن مجزز[٣٨] ، فى أناس إلى الحبشة يقاربون الثلاثمائـــة رداً علـــى إحـــدى غاراتـــهم البحرية[٣٩] ، فأصيبوا فى البحر[٤٠] .

ولا شك فى أن هذه الحوادث وغيرها جعلت عمر يتردد فى حمل المســـلمين على ركوب البحر ، ولعله كان على قناعة بأنهم لم يستعدوا بعـــد ، ولـــم يكســـبوا الخبرة اللازمة لهذا الأمر ، وبالتالى فهم غير مؤهلين لذلك ، ليس على الدوام ، بـــل فى تلك الأيام التى حاول فيها معاوية بن أبى سفيان أميره على الشام إقناعه بـــهذا ، فقد نقل المؤرخون ما دار بين عمر ومعاوية من مراسلات حيث (ألح معاوية علـــى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى غزو البحر) .

وكان لهذا الطلب دوره فى دراسة عمر للموضوع والتخطيط له واستشـــارته أهل الرأى من أمرائه ، الذين عايشوا المواقع البحرية وعرفوا أخبارها وما يـــدور فيها . وكان من هؤلاء أميره فى مصر عمرو بن العاص فكتب إليه : (صف لـــى البحر وراكبه فإن نفسى تتازعنى إليه ...) . فكتب إليه عمرو إنـــى رأيـــت خلقـــاً كبيراً يركبه خلق صغير إن ركن خرق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيـــه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق([٤١]) .

ولا شك فى أن جواب عمرو لعمر كان له تأثيره فى اتخـــاذ قـــرار مرحلـــى حاسم حيث أن عمر لما قرأ الرسالة كتب إلى معاوية : (لا والذى بعـــــث محمـــدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا)[٤٢] .

وكان لقرار عمر ما يتبعه من خطط تنفيذية سلبا أو أيجابـــــا ، حيـــث كتـــب لأمرائه منع ركوب البحر ، وتؤكد الروايات التزام معاويـــــة وغـــيره مـــن أمـــراء المناطق الواقعة على بحر الروم بأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنـــــه[٤٣] ، ولـــم يجرؤ أحد منهم على مخالفته مع أن بعضهم خاض مغامرات بحرية قبـــل الأمـــر ، منهم عرفجة بن هرثمة[٤٤] ، وقصته أن العلاء بن الحضرمى عـــامل عمـــر علـــى البحرين وجهه فى البحر فعبره إلى أرض فارس سنة اربع عشرة للهجرة[٤٥] ففتـــح جزيرة مما يلى فارس . فأنكر عمر ذلك لأنه لم يستأذنه وقال غـــــررت المســـلمين وعاقبه بطرده من البحرين وأمره أن يلحق بالكوفة[٤٦] .

وعلى كل فإن عمر رغم تردده فى ركوب البحر إلا أنه سعى بكـــــل جـــهده لحماية الثغور البحرية وخطط لهذا الأمر واجتهد رأيه فى تعيين الأمراء وتحصيـــن الثغور وتجنيد السواحل[٤٧] .

وكان المسلمون ينظرون نظرة خاصة لمن مات مرابطا فى الثغور البحريـــــة كالإسكندرية وغيرها[٤٨] . ولذلك فإن عمرو بن العاص جعل قسما كبيرا من جيشـــه مرابطا بالساحل بعد فتح الإسكندرية الثانى[٤٩] . وكان عمر بن الخطاب يبعث فـــــى كل سنة (غازية من أهل المدينة ترابط بالإسكندرية)[٥٠] . كما كـــــان كثـــير مـــن المتطوعة يحرص على المرابطة فى الثغور البحرية أكثر من غيرها[٥١] .

وكان لهذا التصرف ما يبرره فقد حرص الروم علـــــى التغلـــب علىبعـــض السواحل فى بلاد الشام آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان–رضى الله عنهما[٥٢].

ولا شك فى أن هناك ترابطا بين الثغور البحرية فى الشام والثغور فى مصـــر بل إن البعض يشير إلى أن مما شجع المسلمين على حرب الروم فـــى الإســكندرية زمن عمر وإصرارهم على فتحها ، فتح قيسارية فى الشام(٥٣) .

ومن هنا يمكننا القول : أن عهد عمر بن الخطاب – رضى الله عنه — كـــان يعتمد فى خططه فى البحر المتوسط على مدافعة الروم وتحصين المواقع الإســلامية عليه ، ولذا عين أمراء محددين لسواحل الشام مسؤولين عن الدفاع عنـــها ، أثنـــاء زيارته للشام فى السنة السابعة عشر للهجرة(٥٤) .

ومن الملفت للنظر أن ترتيبات عمر لأمراء الساحل فى الشـــام جـــاءت بعـــد رسالة معاوية التى يطلب الأذن له فى الغزو فى البحر(٥٥) .

ومن ناحية أخرى فإن الصحابة عرفوا التجارة بالبحر وذهبت بعض أموالـــهم فيه زمن النبى ﷺ(٥٦) ، كما مارسوا ذلك زمن أبى بكر الصديق ، وكان من سياســة عمر — رضى الله عنه — إتاحة الفرصة لتجار المسلمين للتبادل مع تجـــار البحـــر الآخرين فى البحر المتوسط ، حيث ثبت أن بعض الصحابة كانوا يتعاطون التجـــارة فيه زمن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فقد أورد ابن عساكر روايـــة قـــال فيها : « كان أصحاب نبى الله يتجرون فى بحر الشام إلى الروم منهم طلحـــة بـــن عبيد الله ، وسعيد بن زيد »(٥٧) .

كذلك أشتهر عن عمر — رضى الله عنه — أنه أول من حمل الطـــعام فـــى السفن(٥٨) .

ولا شك فى أن نظام العشور ، الذى يتم التعامل به مع التجار الذين يمـــرون ببلاد المسلمين كان له نصيب من التطبيق مع تجار البحر المتوســـط الذيـــن كـــانوا يعبرون بلاد الإسلام ، حتى أن بعض القاطنين بنواحى فلسطين من الروم والنبـــط يصلون إلى المدينة للتجارة زمن عمر – رضى الله عنه —(٥٩) .

وكان الروم يعاملون تجار المسلمين بمثل هذا النظام .

ومن هنا يمكننا القول إن عمر لم يخطط للأساطيل الإسلامية التى أسست بعد عصره — رضى الله عنه — فى الوقت الذى لم يتجاهل المصالح الأمنية لشواطئ المسلمين على البحر المتوسط .

عهد عثمان :

عند الحديث عن خلافة عثمان — رضى الله عنه — لابد من التأكيد على أنه سار على طريقة عمر فى تحصين الثغور وحمايتها وتجنيدها ، (لما استخلف عثمان بن عفان — رضى الله عنه — كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنتها وإقطاع من ينزله إياها القطائع ففعل)[٦٠] .

وينبغى التأكيد على أن عثمان لم يكن وحده المخطط ، بل كان معه عدد كبير من الصحابة ممن تدربوا على يد رسول الله ﷺ ، وممن تولى المسئوليات المختلفة فى عهد عمر بن الخطاب وفى عهد أبى بكر الصديق — رضى الله عنهما — وقد تلقى كثير منهم أحاديث فى فضل غزو البحر ، فقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : غزوة فى البحر أحب إلى من قنطار متقبلا[٦١] .

بل أن هناك روايات عن بعض الصحابة تدل على تفضيلهم للشهادة فى البحر وأنه بأجر شهيدين ، وأن من فاته الغزو مع النبى ﷺ - فعليه الغزو فى البحر لعظم أجره[٦٢] .

وكان من أشد أمراء عثمان — رضى الله عنه — حماسة لركوب البحر معاوية بن أبى سفيان — رضى الله عنهما —[٦٣] الذى سبقت له عدة محاولات لإقناع عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — بركوب البحر فلم ينجح فى ذلك فلما استقرت الأمور لعثمان بن عفان — رضى الله عنه — كتب إليه مكررا المحاولة (يستأذنه فى غزوة قبرص ويعلمه قربها وسهولة الأمر فيها فكتب إليه أن قد شهدت

ما رد عليك عمر — رحمه الله — حين استأمرته فى غزو البحر)[٦٤] ، وكـــان رد عثمان فى بداية الأمر هو إتباع سياسة عمر فى المنع من ركوب البحـــر المتوســط والجهاد فيه رغم محاولات معاوية المتكررة . لكن معاوية لم ييأس وكـــرر الأمـــر سنة سبع وعشرين طالبا الأذن من عثمان ، وهذا يعنى محاولة إعادة النظـــر فـــى الخطة التى سار عليها عمر وألزم عثمان بها نفسه فى صدر خلافته . ولا شك فـــى أن عثمان بحث الأمر مع بعض مستشاريه قبل أن يغير رأيه ويكتب لمعاويـــة ردا على رسالته: « فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فأركبه مأذونا لك وإلا فلا »[٦٥] .

ومن المؤكد أن عثمان حينما أصر على ركوب معاوية البحر بأهله كان يريـد التأكد والتأكيد على سلامة جند المسلمين من الخطر الطبيعى النـــاتج عـــن الجـــهل بالإبحار . أما الخطر الناتج عن الجهاد والقتال ففى نظـــر عثمـــان وغـــيره مـــن الصحابة أمر مقبول ولا يمكن التهرب منه . (فركب البحر من عكا ومعه مراكـــب كثيرة وحمل امرأته)[٦٦] .

كان عثمان حريصا على أن من يغزو فى البحر يكون مختارا لذلـــك غـــير مجبر عليه ، ولذلك أكد على معاوية فى كتابه (لا تنتخب الناس ولا تقـــرع بينـــهم خيرهم فمن أختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ، ففعل)[٦٧] .

ولا شك فى أن تخطيط عثمان شمل الرجال والعدة والقواعد ، كما تم تنفيـــذ العديد من الأنشطة المرتبطة بما خطط له فى البحر المتوسط .

التجنيد البحرى :

على أن توجه عثمان — رضى الله عنه — للنشاط البحرى كان يتطلب جنـــد معدين لهذا الأمر كما تطلب عدة خاصة من سفن الحرب ، وما يرتبط بكل ذلك مـــن آلات وعدد . ولا شك ان الغزو فى البحر كان من أهداف المجاهدين المسلمين منـــذ سمعوا الرسول ﷺ يخبر بغزو المسلمين فى البحر ويرغب فيه ، وبالتالى كان جمـع

الجند للغزو فى البحر فى عصر الراشدين ميسرا نظرا لأنهم شبوا على يد رسول الله ﷺ وتشبعوا بتعاليمه ، فضلا عن أنهم لمسوا أمثلة للنشاط البحرى فى البلاد التى فتحوها بعد ذلك وبخاصة فى مصر والشام . لذلك نرى بعض رجال الحديث بل معظمهم يفردون فى كتبهم أبوابا خاصة لغزو البحر وثواب الجهاد فيه فعند البخارى (باب ركوب البحر)[٦٨] ، وعند مسلم (باب فضل الغزو فى البحر)[٦٩]، كما تحدث ابن مبارك، فى كتاب الجهاد بإسهاب عن الغزو فى البحر وفضل الشهادة فيه[٧٠] . كذلك أورد أبو داود من الأحاديث فى هذا الجانب[٧١] ، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « « خمس من قبض فى شئ منهن فهو شهيد القتيل فى سبيل الله شهيد والغريق فى سبيل الله عز وجل ... الحديث »[٧٢] ، فسر ابن مبارك هذا الحديث على أن الغريق مرتبط بالجهاد البحرى .

وقد اعتمد التجنيد البحرى فى زمن عثمان على مبدأ التطوع وعدم إكراه الناس عليه وذلك وفقاً لرسالة عثمان وشرطه على معاوية حينما أذن له بالغزو فى البحر (لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم خيرهم ، فمن اختار الغزو طائعاً فأحمله وأعنه)[٧٣] .

وتدل النصوص على مشاركة النساء فى ركوب البحر بمصاحبة المجاهدين فيه (وكان الناس يغزون بنسائهم فى المراكب)[٧٤] ولهن دور فى المساعدة والإعداد لما يحتاجه المجاهدون من طعام أو شراب أو دواء وكن بالطبع بمصاحبة أزواجهن أو محارمهن[٧٥] ، مستترات عن الرجال . وقد بحث الفقهاء هذه القضية فرأى بعضهم جواز ركوبهن فى السفن الكبيرة التى لا يضطر الرجال فيها للإطلاع على عورات النساء ولا شك فى أن ركوب النساء السفن زمن الراشدين هو المستند للفقهاء فى بحث القضية[٧٦] .

ولعل مما شجع الجند على ركوب البحر زمن عثمان — رضى الله عنه — وجود عدد كبير من الصحابة ممن تطوع للجهاد فى البحر فى سبيل الله ، من

هؤلاء أبو أيوب الأنصارى — رضى الله عنه — وأبو الدرداء ، وأبو ذر الغفارى ، وأم حرام بنت ملحان ، وغيرهم من أصحاب النبى ﷺ(٧٧) .

وكانوا من أحرص الناس على توفير الأمن لراكب البحـــر فقـد اورد مـن صحب أبا أيوب الأنصارى فى غزوة بحرية أنه قال : « صعدت به علـى سـطح أجلح(٧٨) فنزل . وقال : كدت أن أبيت الليلة ولا ذمة لى » كما ورد عن النبـى ﷺ أنه قال : « من بات على إنجار(٧٩) فوقع منه فمات برئت منه الذمة ومـن ركـب البحر حين يرتج يعنى يغتلم(٨٠) فهلك برئت منه الذمة »(٨١) .

التجهيزات البحرية :

لا شك فى أن المسلمين حينما ركبوا البحر فى بدايات عصر عثمان كانوا من أقل الناس خبرة به إذ أنهم لم يكونوا بمستوى الروم ولا قريبين منهم فى الخبرة لكن دخول أقوام كثيرة من أهل الشام ومصر فى الإسلام زمن عمر وعثمان — رضـى الله عنهما — ، أكسب المسلمين خبراء بحريين ذوى مكانة عالمية ، كما أن هـؤلاء بدخولهم فى الإسلام كانوا من أهل الحماسة له ، لأن دخولهم جاء عن قناعة تامـة ، ولم يجبر أحد منهم على ذلك . وقد استفاد المسلمون من غير المسلمين فيما يتعلـق بالإعداد البحرى وصناعة السفن وما يتعلق بها من الحرف المختلفة ولعل تسـامح المسلمين مع من لم يكونوا على دينهم كان سببا فى مثل هـذا التعـاون(٨٢) ، وقـد اشتهرت بلاد الشام ومصر بوجود دور لصناعة السفن فيها قبل الإسلام ، وبعد فتـح تلك البلاد أصبحت تلك الدور بكامل عددهـا تحـت سـيطرة الدولـة الإسـلامية وخصوصا ما كان ملكا لدولة الروم على أن المسلمين لم يكونوا على خـبرة فـى التعامل معها فى بداية الأمر وبالتالى اضطروا لاستخدام غيرهم مقـابل أجـر فـى الغالب ، حيث كان الكثير من سكان مصر والشام يقبلون العمل مع المسلمين طلبـا للرزق أو غير ذلك . هذا إلى أن القبط فى مصر رغبوا فى مسـاعدة المسـلمين ضـد الروم عن طواعية فى أكثر من موضع(٨٣) . ولدينا من الشواهد مـا يـدل

على تعاونهم مع المسلمين وأنهم كانوا يعملون فى سفن المسلمين أثناء معركة ذات الصوارى[٨٤]، كما تؤكد المصادر مشاركة الموالى فى غزوة ذات الصوارى[٨٥] بل إن بعض المصادر تشير إلى أنه كانت لهم مراكب خاصة شاركت المسلمين فى المعركة[٨٦] وبالتالى فمن المرجح أنهم شاركوا فى صناعة السفن وما يلزم البحرية الإسلامية فى مصر من تجهيزات زمن الخليفة عثمان بن عفان – رضى الله عنه – .

وقد سيطر المسلمون على أماكن عديدة على سواحل الشام ومصر كانت مؤهلة لبناء السفن وتجهيز الأساطيل ، كما أن المواد اللازمة لصناعة السفن وعلى رأسها الأخشاب والمعادن كانت تتوفر فى جبال الشام ، وفى الأطراف الشمالية منها وفى مناطق مصر المختلفة[٨٧] ، بل إن البعض يرجع أسباب معركة ذات الصوارى إلى محاولة البيزنطيين منع المسلمين من الوصول إلى مناطق الأخشاب الصالحة لصناعة السفن على سواحل الأناضول[٨٨] .

ومع توفر المواد الخام والخبرة اللازمة كان من المنطقى توجه المسلمين لإعداد ما يحتاجونه بأنفسهم لتنمية أساطيلهم ، ويرى البعض أنه : (نتيجة لهذه الانتصارات تقدم العرب إلى شواطئ البحر المتوسط حيث طوروا قوتهم البحرية وشنوا هجوما على قلب الإمبراطورية البيزنطية)[٨٩] . ويقول آخر : « لم تبدأ البحرية البيزنطية حقا إلا فى عهد هرقل فإن قوة العرب البحرية النامية كانت تستلزم إجراء مضادا ، كما أن المغيرين على الإمبراطورية بلغوا من الكثرة حدا جعل السفر البرى من الصعوبة حيث كان من المستحسن فيما نرجح اللجوء إلى الطرق البحرية المحروسة بالجند »[٩٠] ، وقد اشتهرت مواقع معينة بتصنيع السفن أيام عثمان — رضى الله عنه — هى بمثابة قواعد بحرية قائمة بذاتها ، كما كان يتم التنسيق بينها عند الحاجة لذلك .

القواعد البحرية

الإسكندرية :

هى مدينة قديمة من أهم مدن العالم القديم والحديث ، لها مكانتـــها التجاريـــة والسياسية والعسكرية عبر العصور ، عريقة فى بناء السفن وتجهيزها منـــذ أقـدم العصور وفيها من الإمكانات وعند أهلها من الخبرة ما جعلها من أهم مـــدن العـــالم فى تصنيع السفن قبل الفتح الإسلامى وبعده[٩١] . ولا شك فى أن المسلمين اســتفادوا مما فيها من التجهيزات السابقة بعد السيطرة عليها ، ولعل خروج الأسطول المســلم منها قبيل موقعة ذات الصوارى مما يبرهن على أهميتها ، وعلى التجهيزات القائمــة فيها للأسطول الإسلامى فى بداية عهده فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنـــه . كما أن قيادة عبد الله بن سعد بن أبى السرح أمير مصر من قبل عثمان — رضـــى الله عنه — لها أكبر شهادة على دور الإسكندرية وأهلها فى الإعداد للأسطول المسلم وكانت الإسكندرية تتعرض باستمرار لهجمات من الروم خلال عصر عمر وعثمـان رضى الله عنهما . فى محاولة لاستعادتها[٩٢] مما يدل على أهميتها الكبرى فى رســم السياسة الحربية للروم فى تلك الفترة ، وعلى مكانة هذه المدينة فى الخطط البحريـة فى البحر المتوسط لدى كل الأطراف .

ويكثر الحديث عن دور صناعة السفن فى الإسكندرية فى العصور الإســلامية اللاحقة لعصر الراشدين عموما إلا أن النصوص لا تسعفنا فيمـــا يرتبـــط بعصـــر الراشدين ، وإن كان من المؤكد قيام هذه الدار بدورها ونشاطها قبل وبعـــد عصـــر الراشدين ، واستمرارها فى عصر الراشدين من باب أولى .

طرابلس الشام :

تعد طرابلس الشام من أهم الموانئ البحرية على الســـاحل الشـــرقى للبحـــر المتوسط . وكانت من أقربها إلى دمشق وحمص قاعدتى الشام فى عصر الخلفـــاء

الراشدين ، كما كانت طرابلس مركزا بحريا هاما للأساطيل الرومية ، إعدادا وتجهيزا ومعسكرا . ولذلك تمسكوا بها أكثر من غيرها[٩٣] . وقد حرص المسلمون على فتحها منذ أيام عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — لكن الفتح لم يتم إلا سنة ٢٥هـ فى بداية خلافة عثمان بن عفان — رضى الله عنه —[٩٤] . ومنذ تلك الفترة وطرابلس تحتل مكانتها الخاصة فى الإعداد للقوى الإسلامية البحرية فى عصر الراشدين وما بعده .

وكان لطرابلس نشاط فى بناء السفن وتجهيزها فى زمن عثمان بن عفان ، حيث أن أميره على الشام معاوية بن أبى سفيان — رضى الله عنه — كان يتابع ذلك عن كثب[٩٥] ، وكان لطرابلس دورها فى معركة (ذات الصوارى) حيث خرج منها عدد كبير من السفن التى شاركت فى هذه المعركة[٩٦] .

عسقلان :

مدينة ساحلية هامة على بحر الروم[٩٧] ، وهى من أهم مدن الشام فى زمن الفتح وكانت مركزا بحريا هاما حاول الروم المحافظة عليها أطول فترة ممكنة ، حتى تمكن المسلمون من فتحها سنة ٢٣هـ على يد معاوية بن أبى سفيان — رضى الله عنه — فى آخر خلافة عمر بن الخطاب — رضى الله عنه[٩٨] .

ولأهميتها فإنها تسمى(عروس الشام)[٩٩]،كان عبد الله بن عمر يسميها (ذروة سنام الشام)[١٠٠] . ومنذ فتحها دخلت عسقلان فى عداد القواعد البحرية الإسلامية فى عصر الراشدين وما تلاه ، ولعل قربها من مصر جعلها من أكبر مراكز التنسيق والاتصال بين أساطيل الشام وأساطيل مصر عبر العصور الإسلامية .

عكا :

مدينة ساحلية فى فلسطين تعد من أهم موانئ بحر الروم[١٠١] ، ومن أهم مدن فلسطين[١٠٢] ، وتعد ميناء لبيت المقدس ، بها قوات بحرية رومية عبر العصور .

تمكن شرحبيل بن حسنة – رضى الله عنه – من فتحها فى خلافة عمر بن الخطـاب — رضى الله عنه[١٠٣] ، كما أهتم بها المسلمون فى زمن عثمان وجعلوهـــا قـــاعدة عسكرية ونقل إليها معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان عددا كبيرا من صنـــاع السفن ، وجهزها بالأخشاب من لبنان ، وجعلها أهم مراكز صناعة السفن فى الشـام فى خلافة عثمان – رضى الله عنه[١٠٤]– وقد ركب معاوية البحر من عكـــا ومعـــه مراكب كثيرة فى أول غزوة بحرية لقبرص[١٠٥] .

وهناك مراكز بحرية أخرى اشتهرت زمن عثمان ، كانت على ساحل بحـــر الروم منها بيروت وصور ، وكان بها بعض المرابطة من أصحاب النبى ﷺ منـــهم سلمان الفارسى — رضى الله عنه — وغيره من الصحابة[١٠٦] ، كمـــا كـــان فـــى بعضها دور لصناعة السفن .

ومن خلال استعراض هذه القواعد البحرية ، نلاحظ أنه كانت فى آخر عـــهد عثمان بن عفان — رضى الله عنه — قواعد بحرية ذات أهمية كبرى فـــى الموقـــع والتجهيزات فى مصر والشام ، وكانت كافية للدفاع عن السواحل الإســـلامية فـــى مصر والشام ، كما استعدت تلك القواعد بأساطيل بحرية أصبحـــت ســـفنها كافيـــة للحفاظ على سواحل المسلمين والقيام بفتوح جديدة فى البحر المتوسط[١٠٧] .

النشاط العسكرى البحرى :

اعتمدت الدولة الإسلامية حتى آخـــر خلافة عمر — رضـــى الله عنـــه — على سياسة الدفاع عن مواقعها وثغورها فى البحر المتوسط ، وكـــان معاويـــة — رضى الله عنه — يحاول إقناع عمر بالمبـــادرة بالهجوم عن طريق البحر إلا أنـــه لم ينجح فى ذلك ، وما أن حصل معاوية علـــى الأذن من عثمان بركوب البحـــر حتى كانت الأنشطة البحريـــة العسكرية المختلفـــة التى احتاجت إلـــى تخطيـــط وتنفيذ ومنها :

فتح قبرص (٢٨هـ – ٦٤٩م) :

هى جزيرة بحرية قبالة ساحل الشام ، وتعد من أهم جزر بحر الروم وكانت من قواعد الأسطول البيزنطى التى تهدد الشام باستمرار(١٠٨) ، وقد اهتم معاوية لفتحها منذ أيام عمر – رضى الله عنه(١٠٩) – إلا أن الخليفة منعه من ذلك ، حتى إذا أذن له عثمان – رضى الله عنه – بذلك ، خرج سنة ٢٨هـ(١١٠) من عكا ومعه أهله ، وعدد من الصحابة(١١١) . منهم عبادة بن الصامت الذى خرج بزوجته أم حرام فى هذه الغزوة فاستشهدت خلالها(١١٢) .

وقد انتهت هذه الغزوة بفتح الجزيرة عنوة ، مما اضطر أهلها لمصالحة المسلمين على جزية يدفعونها ، وعلى شرط إطلاع المسلمين على أخبار الروم(١١٣). وهذا الشرط كان بلا شك يخدم القوات الإسلامية فى البحر المتوسط فالمعلومات من أهم أسس التخطيط والممارسة العسكرية ، وبالتالى فإن هذا الشرط يعد رافدا للخطط الإسلامية فى البحر المتوسط فى مرحلة من المراحل .

على أن أهل قبرص أخلوا بشروطهم وبالتالى تكرر غزو المسلمين للجزيرة سنة ٣٣هـ ، وأدبوا أهلها الذين ساعدوا الروم ، وأقاموا فيها حامية إسلامية من ١٢ ألف مقاتل(١١٤) ، وهذا يعنى تغيير الخطة فيما يتعلق بقبرص وذلك بتحويلها إلى قاعدة بحرية إسلامية ، بدلا من الاكتفاء بكونها مجرد حليفة بناء على المعاهدة السابقة ، كذلك يعد هذا تغييرا فى خطط المسلمين فى هذه الجزيرة بعد أن اتضحت أهميتها .

ولتعدد معاهدات المسلمين مع أهل قبرص عبر العصور ، واختلاف الشروط معهم فإن الفقهاء المسلمين بحثوا موضوعها بدقة(١١٥) ، نظرا لأن الفقهاء هم الذين يصدرون الأحكام فى التعامل مع الأراضى المفتوحة وفقا لوضعها الشرعى .

فتح جزيرة أرواد :

أرواد جزيرة صغيرة تبعد عن الساحل السورى حاليا عشرات الكيلو مترات ، وكانت فى عصر عثمان – رضى الله عنه – مدينة مزدهرة ، وتشكل خطرا على المسلمين لأنها ذات موقع بحرى هام[١١٦] يمكن أن يستغله الروم لضرب المسلمين على سواحل الشام ، وقد استولى عليها المسلمون بقيادة معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه – عند عودتهم من قبرص سنة ٢٨هـ ، كما تشير إلى ذلك المصادر البيزنطية[١١٧] .

ولعل ترك معاوية لهذه الجزيرة حتى عودته من قبرص يعنى تخطيطا عسكريا بحريا رائعا ، إذ أن الاستيلاء على قبرص وراء أرواد يعد فى الوقت نفسه حصارا لأرواد ومنعا للإمدادات عنها وتمهيدا لفتحها ، كما أن المسلمين باستيلائهم على هذه الجزيرة كسبوا موقعا عسكريا بحريا جديدا فى الوقت الذى زالت منه أقدام عدوهم .

وتتحدث المصادر العربية بإسهاب عن فتح أرواد سنة ٥٤هـ[١١٨] فى خلافة معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه – ولعل ذلك يعنى استيلاء الروم عليها مرة أخرى وإعادة فتحها ، كما حصل فى العديد من المواقع ، وبالتالى فإن فتحها على ما يبدو كان ذيلا لفتح قبرص ولذلك لم تشر له المصادر العربية .

الهجوم على رودس وكريت (٦٥٤م) :

رودس جزيرة هامة فى بحر الروم[١١٩] ، وتعد من قواعد الروم البحرية الهامة فى الصراع المبكر على البحر المتوسط[١٢٠] . وكذلك الحال بالنسبة لكريت .

وقد قوى الأسطول الإسلامى وبلغ أوج نشاطه فى آخر خلافة عثمان بن عفان – رضى الله عنه – فأصبح يهدد سواحل أوروبا الجنوبية ، والجزر المقابلة

لإيطاليا ، خصوصاً قبيل وبعد معركة ذات الصوارى التى انتصر فيها المسلمون على الإمبراطور البيزنطى . وقد ثبت أن معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه – قد نزل برودس فى زمن عثمان – رضى الله تعالى عنه – ومعه بعض الصحابة – رضى الله عنهم[١٢١] – وتؤكد المصادر البيزنطية هذا الهجوم[١٢٢] ، إلا أن فتح هذه الجزيرة والاستقرار بها كان سنة ٥٣هـ فى أثناء خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه[١٢٣] ، كما جرى إعادة فتحها سنة ٥٩هـ[١٢٤] .

موقعة ذات الصوارى(٣١-٥٥٥م) :

وقعت هذه المعركة البحرية سنة ٣١هـ وشارك فيها[١٢٥] الأسطول الإسلامى الشامى والأسطول المصرى ، حيث التقوا بأسطول الروم الذى يقوده الإمبراطور البيزنطى قسطنطين بن هرقل بنفسه وسط البحر المتوسط[١٢٦] ، وكانت وجهته سواحل مصر ، إلا أنه فوجئ بتحرك الأساطيل الإسلامية من قواعدها البحرية فى الشام بقيادة معاوية بن أبى سفيان ، ومن قواعدها البحرية فى الإسكندرية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى السرح[١٢٧] ، مما يدل على التخطيط والتنسيق التام بين هذه القواعد البحرية وقوادها[١٢٨] ، كما يدل على تحرى أخبار العدو ومتابعته والإعداد له والتخطيط المسبق . وقد شارك فى هذه المعركة بعض الصحابة – رضى الله عنهم[١٢٩] – وعندما دارت المعركة قبالة سواحل الأناضول[١٣٠] ، شهدت تنسيقاً بين سفن المسلمين رائعاً وتخطيطاً حربياً وحماسة فى القتال فائقة حتى نصر الله المسلمين على الروم نصراً مؤزراً . وكان فى سفن المسلمين بحارة من غير المسلمين ، من أقباط مصر ونصارى الشام[١٣١] ، إلا أنه لم يكن لهم دور فى القتال وإنما كانوا ملاحى السفن وخبرائها .

وتعد هذه المعركة من أشهر المعارك البحرية عبر التاريخ ، فهى أول معركة بحرية كبرى يخوضها المسلمون وينتصرون فيها انتصاراً حاسماً غير مجرى الأحداث فى البحر المتوسط حتى اعتبرها بعض المؤرخين البيزنطيين نظيراً

لانتصار المسلمين البرى فى اليرموك[١٣٢] ، وأرجع أرشيبالد انتصار المسلمين فى المعركة إلى أنه (جاء لخطط غير عادية إذ ربطوا سفنهم بعضها ببعض بسلاسل ثقيلة ، فاستحال على أعدائهم اختراق صفوفهم)[١٣٣] .

والواقع أن انتصار المسلمين فى ذات الصوارى كان دافعاً لمزيد من التجديد والتغيير فى الخطط البحرية للمسلمين ، الذين أصبحوا أسياد البحر المتوسط بعد تلك المعركة بعد أن كانوا يعتمدون على السياسة الدفاعية فيه[١٣٤] ، كذلك كان لهذه المعركة تأثيرها على مستقبل المسلمين فى البحر المتوسط ، وإن كان هذا قد تأخر قليلاً بسبب مقتل عثمان – رضى الله عنه – ، وما حدث بعد ذلك من اضطراب ، إلا أن معاوية نفسه بعد استقرار الأمور له بالخلافة عاد ليستغل نتائج معركة ذات الصوارى[١٣٥] .

تهديد القسطنطينية :

أما القسطنطينية فقد كان التخطيط لفتحها من أهم أهداف المسلمين منذ أن بشرهم الرسول ﷺ بفتحها أكثر من مرة[١٣٦] ، ومنها قوله : لتفتحن القسطنطينية على يد رجل فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش)[١٣٧] ، كما قال ﷺ: « أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم »[١٣٨] .

وفى ضوء ذلك يرجح البعض حرص المسلمين على إنشاء الأساطيل لتحقيق هذا الهدف ، وقد قام المسلمون بنشاط بحرى متكرر فى زمن عثمان كان بعضه موجه ضد القسطنطينية عاصمة الروم وما حولها من سفن بحرية[١٣٩،١٤٠] .

وتذهب بعض المصادر إلى تأكيد وصول أساطيل المسلمين فى زمن عثمان – رضى الله عنه – إلى سواحل الأندلس[١٤١] ، وتهديدها لأوربا فى إطار خطة بحرية من المسلمين للالتفاف على القسطنطينية من الشرق والغرب . يقول الطبرى : « وسرح العبدين على الجند ورماهما بالرجال وسرحهما إلى الأندلس وأمرهما وعبد الله بن سعد بالاجتماع على الأجل »[١٤٢] .

قواد البحر زمن عثمان

معاوية بن أبى سفيان :

يعد معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه أهم قواد البحر والمخططين له زمن عثمان بن عفان ، وهو صاحب المحاولات فى إقناع عمر ثم عثمان من بعده فى ركوب البحر[١٤٣] . كان يغزو بنفسه ويصطحب معه أهله ، وتؤكد المصادر أنه أول من ركب البحر من أمراء المسلمين وقادتهم فى خلافة عثمان - رضى الله عنه[١٤٤] - ، بالتالى فإن معاوية يعد أكثر المخططين لغزو البحر المتوسط فى زمن الخلفاء الراشدين[١٤٥] ، وقد سار على نفس الخطط التى وضعت زمن عثمان حينما أصبح خليفة للمسلمين .

عبد الله بن سعد بن أبى السرح :

كان قائدا عسكريا وسياسيا لمصر فى خلافة عمر وعثمان بن عفان ، وهو من المجاهدين الفاتحين فى البر ، قاد سفن المسلمين فى ذات الصوارى ، وتعرض للخطر أكثر من مرة .

عبد الله بن قيس الجاسى :

كان أحد القواد المشهورين فى الشام التابعين لمعاوية بن أبى سفيان زمن عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وقد عينه عثمان قائدا للأساطيل البحرية فى سواحل الشام ، فكانت له غزوات استطلاعية متعددة ، إذا غامر بنفسه فى جزر البحر المتوسط فى أكثر من خمسين غزوة بحرية حتى صارت الروم تخشاه استشهد وهو متنكر فى أحد تلك الاستطلاعات البحرية[١٤٦] .

فضالة بن عبيد الأنصارى :

صحابى جليل شهد أحد وما بعدها مع النبى ﷺ [١٤٧] ، كما شهد فتوح الشام فى زمن أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - ، وأصبح من قضاة الشام فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وبها توفى فى خلافة معاوية[١٤٨] .

بسر بن أرطاة :

كان من قضاة الشام فى خلافة عمر ، وكذلك فى خلافة عثمان[١٤٩] جاهد فى العديد من المعارك البرية والبحرية[١٥٠] ، حتى أصبح من أشهر قواد البحر وخصوصاً فى خلافة معاوية[١٥١] ، وقد توفى سنة ٥٣هـ[١٥٢] .

واثلة بن الأسقع الكنانى :

من نبلاء الصحابة له أحاديث فى كتب الصحاح[١٥٣] ، من مجاهدى المسلمين فى بلاد الشام فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه – شهد فتح معاوية لقبرص وغيرها .

عبد الله بن بشر المازنى :

صحابى جليل بايع النبى ﷺ[١٥٤] شارك فى فتوح الشام ، وغزو البحر فى زمن عثمان[١٥٥] ، توفى بحمص[١٥٦] ، فى خلافة الوليد بن عبد الملك[١٥٧].

شداد بن أوس بن ثابت الأنصارى :

صحابى جليل شهد بعض الغزوات مع النبى ﷺ[١٥٨] ، كما شهد الفتوح فى زمن أبى بكر وعمر– رضى الله عنهما[١٥٩] – ، وشهد بعض الغزوات البحرية مع معاوية بن أبى سفيان فى زمن عثمان بن عفان – رضى الله عنه[١٦٠] – ، اشتهر بالعلم واثنى عليه كثير من الصحابة[١٦١] ، أصبح من القواد المشهورين فى خلافة معاوية توفى سنة ٥٣هـ فى الشام بدمشق[١٦٢] ، وقيل بعد ذلك[١٦٣] بفلسطين[١٦٤].

جبير بن نفير الحضرمى :

كان جاهلياً ، فأسلم فى خلافة أبى بكر[١٦٥] ، وعد من أكابر التابعين[١٦٦] شارك فى الجهاد فى زمانه وزمن عمر رضى الله عنهما – غزا البحر فى زمن

عثمان – رضى الله عنه – وعد من القادة[١٦٧] ، توفى فى حمص[١٦٨] زمن عبد الملك بن مروان سنة ٨٠هـ[١٦٩] .

عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن عبد القيس الفهريين :

نسبت لهما الروايات قيادتهما لحملات بحرية فى خلافة عثمان رضى الله عنه تجاه الأندلس ، وأن هدف تلك الحملة كما صرح به عثمان رضى الله عنه هو الالتفاف على القسطنطينية وفتحها من الخلف[١٧٠] ، وتحتاج هذه الروايات إلى مزيد من الدراسة والتروى ، والنظر الفاحص فيها .

عهد على بن أبى طالب :

انشغل على بن أبى طالب رضى الله عنه بالنزاع مع معاوية رضى الله عنه مما منعه من السيطرة على الشام ، وبالتالى لم يكن بيده التخطيط أو التنفيذ لأى نشاط بحرى فى المتوسط من سواحل الشام . أما مصر فقد كانت فترة انضمامها لعلى رضى الله عنه قصيرة جداً إذ انشغل أمراؤه بأحداث داخلية كثيرة منعتهم من أى نشاط بحرى على سواحلها الشمالية ، ويبدو أن المسلمين استمروا فى السيطرة البحرية فى المتوسط فى خلافة على عن طريق أمراء مصر والشام فى تلك الفترة وكانوا فى الغالب مرتبطين بمعاوية الذى بذل جهده لحماية الثغور البرية والبحرية التى تقع تحت سيطرته فى تلك الفترة .

المعاهدات فى البحر المتوسط :

تعد معاهدة المسلمين مع أهل قبرص أشهر المعاهدات فى البحر المتوسط زمن الخلفاء الراشدين . ذلك أنه بعد استيلاء المسلمين على الجزيرة « أذعن أهلها فصالحهم على سبعة آلاف ومائتى دينار يؤدونها فى كل عام ، وصالحهم الروم على مثل ذلك ، فهم يؤدون خراجين . واشترطوا أن لا يمنعهم المسلمون أداء الصلح مع إلى الروم واشترط عليهم المسلمون أن لا يقاتلوا عنهم من أرادهم من

ورائهم وأن يؤذنوا المسلمين بسير عدوهم من الروم فكـــان المســـلمون إذا ركبـــوا البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرس ولم ينصروا عليهم »[١٧١] .

ويتضح من شروط هذه المعاهدة أن المسلمين لم يطلبوا مـــن أهـــل قـــبرص التدخل العسكرى لصالح المسلمين عند الحاجة ، وإنما طلبوا منهم عـــدم مســـاعدة الأعداء ، وهذا يعنى الوقوف على الحياد فى الجانب العسكرى أما جانب المعلومات والاستخبارات فإنه بموجب هذه المعاهدة يلتزم أهـــل قـــبرص بـــإمداد المســـلمين بالمعلومات عن أعدائهم ، وعن تحركاتهم المختلفة . وقد وافق المسلمون على دفـــع أهل قبرص الأموال للروم ولم يمانعوا فى ذلك ، وبالتالى فإن المفترض فـــى أهـــل قبرص أن يكونوا قد أرضوا الروم بالمال ، والمسلمين بالمـــال والمعلومـــات ، وأن يؤمنوا بلادهم فى هذه الحالة من الطرفين ، وهذه المعاهدة عقـــدت ســـنة ٢٨هـــ واستمرت فترة من الوقت ، إلا أن أهل قبرص على ما يبدو لـــم يوفـــوا بشـــروط المعاهدة للمسلمين .

« فلما كان سنة اثنتين وثلاثين أعانوا الروم على الغزاة فى البحر بمراكـــب أعطوهم إياها فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين فى خمسمائة مركب ففتح قـــبرص عنوة فقتل وسبى ثم أقرهم على صلحهم »[١٧٢] .

ولا شك فى أن استمرار المسلمين فى معاهداتهم مع أهل قبرص بعد تأديبـــهم كان جزءا من خطة عامة تجاه قبرص وغيرها من الجزر البحرية فى المتوسط .

أثر خطط الراشدين على من بعدهم :

لا شك فى أن التحركات البحرية وما سبقها من تخطيط فى خلافة عثمـــان – رضى الله عنه – كان لها دور فى الأحداث التى جرت بعد ذلك وخصوصـــا فـــى عصر بنى أمية ، حيث أن الإعدادات الحربية البحرية وقواعدها المختلفة آلت لدولـة بنى أمية ، فقام الخليفة معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه – بالسير على نفـــس

الخطط السابقة ، خصوصا أنه كان من صانعى تلك الخطط . ولذلك استمر فى دعم الأساطيل البحرية وتجهيزها بالعتاد والرجال ، كما استمر فى فرض السيطرة البحرية ، بتحركات الأساطيل البحرية وفتوحها المختلفة فى جزر البحر المتوسط . وتبعه فى ذلك بقية خلفاء بنى أمية ، حتى هددوا القسطنطينية نفسها واستولوا على عدد من الجزر البحرية فيما لا يتسع المجال لذكره فى هذا البحث ، كما أنهم نظروا نظرة خاصة لتطبيق المعاهدة التى عقدت مع أهل قبرص وشارك العلماء فى النظر فى هذه المعاهدة وتطبيقها طوال عصر بنى أمية والعصور اللاحقة(١٧٣) .

كما أن ما تم من تحقيق تفوق للمسلمين فى البحر المتوسط زمن عثمان بنيت عليه الدول الإسلامية المطلة على المتوسط مكانتها العسكرية فى ذلك البحر ، حيث استفادت من تلك الإنجازات ، وتحركت لمد نفوذها فى مناطق جديدة فى صقلية وجنوب إيطاليا والأندلس وغيرها حتى صارت السيطرة البحرية فى المتوسط طيلة العصور الوسطى للبحرية الإسلامية فى مصر والشام عبر الدول المختلفة .

* * *

وبعد ، فإنه من خلال هذا البحث يتبين أن ما تم فى زمن الراشدين من نشاط بحرى لم يكن امتداداً تاريخياً لما كان عليه الوضع قبل الإسلام حيث أن هذه المرحلة تعد جهاداً مركزاً ومخططاً مع قوى بحرية مختلفة فى مناطق جديدة تمكن المسلمون من السيطرة عليها وتوجيهها لتحقيق أهداف وغايات الدولة الإسلامية ، وحماية مواقعها الجديدة . وقد تفاوتت جهود الراشدين فى هذا الأمر حيث نرى تركيز عمر – رضى الله عنه –على التحصين والدفاع عن ثغور المسلمين فى البحر المتوسط وشحنها بالمقاتلة باستمرار ، أما عثمان فمع السير على خطة عمر – رضى الله عنهما – إلا أنه خطا خطوة جديدة ببناء الأساطيل الإسلامية فى عدد من القواعد البحرية فى بلاد الشام ومصر ، كما بادر بالهجوم على مواقع الروم فى البحر المتوسط واستولى على بعض الجزر وهدد مواقع أخرى فى بلاد الروم ،

منها جزر متصلة بأوربا اتصالا مباشرا ، كما يتضح دور معاوية بن أبـــى ســفيان وعبد الله بن سعد وغيرهم من القواد فى الجهود المبذولة لتقوية الأسطول الإســلامى أيام عثمان بن عفان – رضى الله عنه – ، وأما خلافة على بن أبى طالب – رضــى الله عنه – فقد شغل فيها عن بحر الروم ومنع من الوصول إليه ، وذلك بمنعه مـــن مد نفوذه إلى الشام ، وسلخ مصر ، فى وقت مبكر من خلافته ، وبالتالى فإنـــه لـــم تتضح له خطة معينة فى البحر المتوسط بسبب الظروف التى سادت فترة خلافته .

* * *

الهوامش

(١) انظر البخارى (فتح البارى) جـ١٦ /١٣٤ .

(٢) ابن ماجه ، سننه ، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين جـ١/١٧ .

ورواه الإمام أحمد فى مسند الشاميين ، باب حديث العرباض بن سارية جـ٤/١٢٦ .

(٣) ابن ماجه ، سننه ، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين جـ١ / ١٥ .

(٤) خليفة بن خياط ، تاريخه ص ٩٤ .

(٥) خليفة بن خياط ، تاريخه ص ١٩٨ .

(٦) انظر : الكلاعى الأندلسى (حروب الردة) تحقيق أحمد غنيم .

(٧) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٤ .

(٨) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ١/٢١ ، ٣٤٥ .

(٩) للتوسع حول الموضوع انظر : فرنان بردويل ، البحر المتوسط المجال والتاريخ ، ترجمة يوسف شلب الشام ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٠م .

(١٠) أرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ص١٦ .

(١١) العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص٧٢ .

(١٢) المقدمة ص ٢٥٢ .

(١٣) انظر الذهبى : سير أعلام النبلاء ، جـ٩ / ٢٨٩ . السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، جـ٢ / ٢٨٦ .

(١٤) سورة الطور : الآية ٦ .

(١٥) ابن كثير ، تفسيره ، جـ٤ /٤٧٧ ، القرطبى ، تفسيره ، جـ١٩/٢٣١ .

(١٦) سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الإسلامية ، ص ٥٦ .

(١٧) نخبة من الأساتذة ، تاريخ البحرية المصرية ص ٢٦٦ ، أنور عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ص ٢٢ .

(١٨) الشعيبة : قرية على شاطئ البحر الأحمر مقابل مكة المكرمة ، وهى ميناؤها منذ القدم وقبل أن تعرف جدة فى العصور المتأخرة . وقد زرتها بنفسى وتبعد عن مكة

قرابة ١٠٠ كيلو متر إلى الغرب على طريق الليث (انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان جـ٣ /٣٥١)

(١٩) ابن هشام ، السيرة النبوية، جـ١/١٩٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٢ /٤٤ .
ابن فهد ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، جـ١/١٤٦ ، الصالحى الشامى ، سبل الهدى والرشاد ، جـ٢/٢٢٨ .

(٢٠) الطبرى ، تاريخه ، جـ٢/٢١٥ ، السهيلى ، الروض الأنف ، جـ٢ / ٢٥٠ ، وانظر جواد على ، جـ٧/٢٥٩

(٢١) انظر : سعاد ماهر ، البحرية الإسلامية ، ص ٦٠ .

(٢٢) شاعر جاهلى فحل هجاء يخشاه الناس ، من أصحاب المعلقات المشهورين ، ولد بالبحرين ، وتنقل بينها وبين العراق ونجد ، قتل بسبب شعره . انظر : يحيى الخشاب (طرفة بن العبد حياته وشعره) ١٩٩٧ ، وانظر : الانبارى ، شرح المعلقات السبع ، ص ١١٥ .

(٢٣) الأنبارى ، شرح المعلقات القصائد السبع ، ص ٣٥ ، الألوسى ، بلوغ الأرب جـ٣/٣٦٥ . جواد على ، المفصل ، جـ٧/٢٥١ . المالكية ، والعدولية : من أنواع السفن المعروفة عند العرب (المصدرين السابقين).

(٢٤) هو عمرو بن هند ، ويسمى عمرو بن منذر بن ماء السماء أحد ملوك العرب فى الحيرة قبل الإسلام من بنى تغلب . (يحيى شامى ، طرفة بن العبد والأنبارى ، شرح القصائد السبع ص ٤٢٦ .

(٢٥) ابن منظور ، لسان العرب ، جـ١٣ /٢٠٩ . الزبيدى ، تاج العروس جـ٩/٢٣٦ . الأنبارى ، شرح المعلقات السبع ، ص ٤٢٦ . وانظر إلى مزيد من الشواهد الشعرية: أنور عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ص ٢٤ .

(٢٦) المقدمة ، ص ٢٥٣ .

(٢٧) البخارى ، صحيحه ، جـ٣/١٠٦٩ .

(٢٨) (البخارى باب من زار قوما فقال عندهم) . جـ٥ /٢٣١٦ .

(٢٩) البخارى ، (باب فضل من يصرع فى سبيل الله فمات فهو منهم) جـ٢/١٠٣٠ .

(٣٠) مسلم ، صحيحه جـ٣/١٥١٨ .

(٣١) عبد الله بن المبارك ، كتاب الجهاد جـ١ /١٤٤ .

(٣٢) ابن مبارك ، كتاب الجهاد جـ١/١٥٤ .

(٣٣) صحيح البخارى ، جـ٢/٧٢٧ .

(٣٤) صحيحه ، جـ٢/٥٤٤ .

(٣٥) هو عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام الثقفى أبو عبد الله نزيل البصرة أسلم فى وفد ثقيف فاستعمله النبى ﷺ على الطائف ، خطبهم بعد وفاة النبى ﷺ ومنعهم من الردة ، وأقره أبو بكر ثم عمر ثم استعمله عمر على عمان والبحرين سنة خمس عشرة ، ثم سكن البصرة حتى مات بها فى خلافة معاوية سنة خمسين ، وقيل سنة إحدى وخمسين . (ابن حجر ، الإصابة ، جـ٤/٤٥١ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٥/٥٠٨) .

(٣٦) تانة ، من قرى الهند القريبة من بمباى (سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الإسلامية ص٦٢) .

(٣٧) البلاذرى ، فتوح البلدان ، جـ٢ /٤٢٠ .

(٣٨) هو علقمة بن مجزز بن الأعور الكنانى ، صحابى جليل ، كان يؤمره رسول الله ﷺ اشتهر بجهاده فى بلاد الشام زمن أبى بكر وعمر – رضى الله عنهما – توفى سنة ثلاث وعشرين للهجرة النبوية ، (الطبرى ، تاريخه ، جـ٢ / ٤٤٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٧/١٤٣ ، ابن حجر ، الإصابة ، جـ٤ /٥٥٩) .

٣٩) البكرى ، معجم ما استعجم ، جـ٢ /٦٣٢ .

(٤٠) الطبرى ، تاريخه ، جـ٢/٥١٧ ، ابن حجر ، الإصابة ، جـ٤ /٥٥٩ ، عبد الرزاق ، المصنف جـ٥/٢٨٤ .

(٤١) ابن سعد ، الطبقات ، جـ٣ /٢٨٥ .

(٤٢) الطبرى ، تاريخه جـ٢ /٦٠٠ .

(٤٣) انظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ .

(٤٤) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٥٣ .

وعرفجة بن هرثمة صحابى جليل كان من قواد الفتح أيام أبى بكر وعمر لـــه نكايـــة شديدة فى العدو شارك فى القضاء على المرتدين واشـــتهر بفتحـــه للموصـــل ومـــا جاورها (ابن حجر ، الإصابة ، جـــ٤/٤٨٥) .

(٤٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـــ٤/٣٦٢ .

(٤٦) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـــ٢/٢٢٧ .

(٤٧) عبد الله بن المبارك ، كتاب الجهاد ، جـــ١/١٤٤ .

(٤٨) المقريزى ، الخطط ، جـــ١/١٦٣ .

(٤٩) المقريزى ، الخطط ، جـــ١/١٦٧ .

(٥٠) المقريزى ، الخطط ، جـــ١/١٦٧ .

(٥١) ابن الأثير ، الكامل ، جـــ٣/١٤٦ .

(٥٢) البلاذرى ، فتوح البلدان ، جـــ٢/١٣٣ .

(٥٣) المقريزى ، الخطط ، جـــ١/١٦٤ .

(٥٤) الطبرى ، تاريخه ، جـــ٢/٤٩١ .

(٥٥) الطبرى ، تاريخه ، جـــ٢/٦٠٢ .

(٥٦) انظر : الطبرانى ، كتاب الدعاء ، ص ٢١ .

(٥٧) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، جـــ٢٥/٥٧ .

وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل من العشرة المبشـــرين بالجنـــة من أصحاب النبى ﷺ .

(٥٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـــ٣ /٢٨٢ .

(٥٩) انظر : القاسم بن سلام ، الأموال ، ص ٦٤١ .

(٦٠) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٣٤ .

(٦١) ابن المبارك ، كتاب الجهاد ، جـــ١/١٥٧ .

(٦٢) ابن المبارك ، كتاب الجهاد ، جـــ١/١٥٤ .

(٦٣) انظر : السيد الباز العرينى ، الدولة البيزنطية ، ص ١٤٣ .

(٦٤) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ .

(٦٥) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ .

(٦٦) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ .

(٦٧) الطبرى ، تاريخه ، جـ٢ / ٦٠١ .

(٦٨) صحيحه ، جـ٣ / ١٠٦٠ .

(٦٩) صحيحه ، جـ٣/١٥١٨ .

(٧٠) كتاب الجهاد ، جـ١/١٥٥ .

(٧١) سنن أبى داود ، جـ٣/٦

(٧٢) ابن المبارك ، كتاب الجهاد ، جـ١/١٥٤ .

(٧٣) الطبرى ، تاريخه ، جـ٢/٦٠١ .

(٧٤) المقريزى ، الخطط ، جـ١/١٦٩ .

(٧٥) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣/٩٧ .

(٧٦) فتح البارى ، جـ١١/٧٨ — ٧٦ .

(٧٧) انظر: البخارى ، صحيحه ٣/١٠٦٠ ، الأدب المفرد ، أبو داود ، سننه ، جـ٣/٦، البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٢/٢٢٧.

(٧٨) السطح الذى لا جدار له ، وكل ما لا جدار له من هودج أو سفينه أو غير ذلك : (انظر : لسان العرب ، جـ٢/٤٢٥) .

(٧٩) إنجار : يقصد به السطح ، ويقصد به مرساة السفينة ، كما يأتى بمعنى سطح السفينة (ابن منظور ، لسان العرب ، جـ٥/١٩٤) .

(٨٠) (الإغتلام) الارتفاع ومجاوزة الحد المعهود ، ولعل المقصود به شدة اضطراب البحر وعلو موجه (انظر : الجزرى ، النهاية فى غريب الأثر ، جـ٣/٣٨٢) .

(٨١) البخارى ، الأدب المفرد ، ص ٤٠٨ .

(٨٢) انظر : أرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ص ٨٨ .

(٨٣) انظر : المقريزى ، الخطط ، جـ١/١٦٦ .

(٨٤) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣/١١٨ .

(٨٥) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، جـ٥٢/٢٧٢ .

(٨٦) الطبرى ، تاريخه ، جـ٢/٦٢٠

(٨٧) انظر : نخبة من الأساتذة ، تاريخ البحرية المصرية ، ص ٣٧٠ — ٣٨٢ .

(٨٨) ارشيبالد ، القوى البحرية والتجارية فى حوض المتوسط ، ٩٢ ، السيد عبد العزيز سالم والسيد الباز العربنى ، البحرية الإسلامية جـ١/٦ .

(٨٩) رتشارد أ. ساليفان ، ورثة الإمبراطورية الرومانية ص ٧٠ .

(٩٠) ستيفن رنسيمان ، الحضارة البيزنطية ، ١٧٦ .

(٩١) نخبة من الأساتذة ، تاريخ البحرية المصرية ، ٣٤١ .

(٩٢) المقريزى ، الخطط ، جـ١ / ١٦٧ ، سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الإسلامية ص٧٧ ، نخبة من الباحثين ، تاريخ البحرية المصرية ، ص٢٨١ ، السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية ، ص ١٤١ .

(٩٣) تدمرى ، تاريخ طرابلس ، ص ٨٩ .

(٩٤) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٣٣ ، عمر تدمرى ، تاريخ طرابلس ، ص٩٢ .

(٩٥) نخبة من الأساتذة ، تاريخ البحرية المصرية ، ص٣٥٧ .

(٩٦) تدمرى ، تاريخ طرابلس ، ص ١٠١ .

(٩٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص٦٢ .

(٩٨) الطبرى ، تاريخه ، جـ٢/٥٨٨ ، وانظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٤٨ .

(٩٩) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٤/١٢٢ .

(١٠٠) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٢/١٢٢ .

(١٠١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٦٢ .

(١٠٢) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ١/١٤٨ .

(١٠٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص١٢٣ .

(١٠٤) العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٨ .

(١٠٥) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ .

(١٠٦) انظر الذهبى ، سير أعلام البنلاء ، جـ١/٥٥ ، جـ٢ /١٨٨ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ١/٥٢٥ .

(١٠٧) انظر : السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، تاريخ البحريـــة الإســـلامية فى مصر والشام ، ص ٢٦ .

(١٠٨) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـــ٤/٣٠٥ ، ابن خلدون ، المقدمـــة ، ص ٦٥ ، العرينى ، الدولة البيزنطية ، ص ١٣٢ ، العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ص٨٠.

(١٠٩) العرينى ، الدولة البيزنطية ، ص ١٤٢ .

(١١٠) الطبرى ، تاريخه ، جـــ٢/٦٠٠ .

(١١١) لمعرفة بعض أسماء الصحابة الذين شهدوا هذه الغزوة مع معاويـــة – رضـــى الله عنهم – انظـــر البـــلاذرى ، فتـــوح البلـــدان ص ١٥٧ ، الطـــبرى ، تاريخـــه ، جـــ٢/٦٠٠ .

(١١٢) البخارى ، صحيحه ، جـــ٣/١٠٣٠ ، ١٠٦٠ ، مسلم ، صحيحه ، جـــ٣/١٥١٨ ، أبو داود ، سننه ، جـــ٣/٦ ، ابن المبـــارك ، كتـــاب الجـــهاد ، جـــ١ / ١٥٧ ، البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٧ ، ابن حجر ، فتح البارى ، جـــ١١/٧٨-٧٦.

(١١٣) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٨ ، الطبرى ، تاريخه ، جـــ٢ / ٦٠٢ .

(١١٤) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٨ ، الطبرى ، تاريخه ، جـــ٢ / ٦٠٢ .

(١١٥) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(١١٦) العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٨٧ .

(١١٧) نخبة من الأســـاتذة ، البحريـــة المصريـــة ، ص ٢٨٤ ، العـــدوى ، الأمويـــون البيزنطيون ، ص٨٩ .

(١١٨) الطبرى ، تاريخه ، جـــ٣ /٢٤١ ، البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٢٣٧ ، يـــاقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـــ١/٢٢٨ .

(١١٩) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـــ١/٢٢٨ ، البكـــرى ، معجـــم مـــا اســـتعجم جـــ٢/٦٨٣ .

(١٢٠) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـــ٣/٧٨ .

(١٢١) ابن المبارك ، الجهاد ، جـــ١/١٥٥ .

(١٢٢) انظر : نخبة من الأساتذة ، تاريخ البحرية المصرية ، ص ٢٨٥ ، السيد الباز العرينى ، الدولة البيزنطية ، ص١٤٢ العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص٩١.

(١٢٣) الطبرى ، تاريخه ، جـ٣/٢٣٨ ، البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص٢٣٧ .

(١٢٤) خليفة بن خياط ، تاريخه ، جـ٢/٢٢٧ ، ٢٢٩ .

(١٢٥) الطبرى ، تاريخه ، جـ٢ /٦٢٠ .

(١٢٦) الطبرى ، تاريخه ، جـ٢/٦٢٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٧/٣١٢ .

(١٢٧) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، جـ٣ /٣٤ .

(١٢٨) انظر : العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٩٦ .

(١٢٩) ابن حجر ، الإصابة ، جـ٥ /١٣٧ .

(١٣٠) يرجح البعض أن المعركة كانت بسبب محاولة السيطرة على أماكن الأخشاب الصالحة لصناعة السفن (انظر : السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى ، تاريخ البحرية الإسلامية جـ١/٦) .

(١٣١) انظر : ابن الأثير ، الكامل ، جـ٣/١١٨ .

(١٣٢) نخبة من الأساتذة ، تاريخ البحرية المصرية ، ص ٢٨٨ .

(١٣٣) القوى البحرية والتجارية فى البحر المتوسط ، ص ٩٢ .

(١٣٤) سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الإسلامية ، ص ٨٤ .

(١٣٥) السيد الباز العرينى ، الدولة البيزنطية ، ص ١٤٣ .

(١٣٦) الإمام أحمد بن حنبل ، جـ٤ /٣٠٣

(١٣٧) الإمام أحمد بن حنبل ، جـ٤/٣٣٥

(١٣٨) البخارى ، صحيحه ، جـ٣/١٠٦٩ .

(١٣٩) كان من أمراء أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - فى حرب المرتدين (الطبرى ، تاريخه ، جـ٢/٢٦٦) .

(١٤٠) الطبرى ، تاريخه ، جـ٢ ، ٦٠١ .

(١٤١) الطبرى ، تاريخه ، جـ٢/٥٩٧ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٧/١٥٢ .

(١٤٢) الطبرى ، تاريخه ، جـ٢/٥٩٧ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٧/١٥٢ .

(١٤٣) العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٧٣ .

(١٤٤) الطبرى ، تاريخه ، جـ٢/٦٠١ .

(١٤٥) العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ٧٤ .

(١٤٦) كان من أمراء أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - فى حرب المرتدين (الطبرى ، تاريخه ، جـ٢/٢٦٦) .

(١٤٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٨/٧٨ ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، جـ٢/١٧ .

(١٤٨) ابن سعد ، الطبقات ، ٧/٤٠١ .

(١٤٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٨/١٤٥ .

(١٥٠) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، جـ٣ /١١٤ .

(١٥١) الطبرى ، تاريخه ، جـ٣/٢٠٧ ، خليفة بن خياط ، تاريخه ، جـ٢/٢١٨ .

(١٥٢) ابن زبر الربعى ، مولد العلماء ووفياتهم ، جـ١/١٥٥ .

(١٥٣) الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، جـ١/٤٥ .

(١٥٤) الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ، جـ٦/٢٤ ، ابن حجر ، الإصابة ، جـ٧/٢٢٢.

(١٥٥) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٩ .

(١٥٦) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٥/٥٠ .

(١٥٧) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، جـ٢/٢٢٥

(١٥٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ٨/٧٨ .

(١٥٩) الطبرى ، تاريخ ، جـ٢ / ٣٥٥ .

(١٦٠) البلاذرى ، فتوح البلدان ، جـ ص ١٥٩ .

(١٦١) ابن حجر ، الإصابة ، جـ٣ /٣١٩ .

(١٦٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٧ /٤٠١ .

(١٦٣) ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ١/٥٠ .

(١٦٤) ابن زبر الربعى ، مولد العلماء ووفياتهم ، جـ١/١٦٢ .

(١٦٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٧/٤٤٠ .

(١٦٦) الذهبى ، المعين فى طبقات المحدثين ، جـ٢/٣٢

(١٦٧) البلاذرى ، فتوح البلدان ، جـ ص ١٥٩ .

(١٦٨) الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، جـ١/٥٢ .

(١٦٩) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ٧/٤٤٠ .

(١٧٠) الطبرى ، تاريخه ، جـ٢/٥٩٨.

(١٧١) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٨ .

(١٧٢) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٨ ، وانظر : الطبرى ، تاريخه ، جـ٢/٦٢٠.

(١٧٣) انظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ١٥٩ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم (ت ٦٣٠هـ) .

- أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى (د. ت .)
- الكامل فى التاريخ ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٥ .

أرشيبالد : ر. **لويس**

- القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد عيسى ، مراجعة شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

الألوسى : محمود **شكرى**

- بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، تحقيق محمد بهجت الأثرى ، ط٣ القاهرة ، ١٣٤٢هـ .

الأنبارى : أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ)

- شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٤ - ٢٥٦هـ)

-صحيح البخارى ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .

-الأدب المفرد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، ط٣ ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ١٤٠٩هـ .

بردويل : فرنان

- البحر المتوسط فى المجال والتاريخ ، ترجمة يوسف شلب الشام ، ترجمة وزارة الثقافة السورية ، دمشق ١٩٩٠ .

البكرى : عبد الله بن عبد العزيز الأندلسى (ت ٤٦٧هـ)
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا وآخـــرون ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣هـ .

البلاذرى : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧١هـ) .
- فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٣٩٨هـ .

تدمرى : عمر عبد السلام
- تاريخ طرابلس السياسى والحضارى عبر العصور (عصر الصـــراع العربـــى البيزنطى والحروب الصليبية) مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٨هـ .

الترمذى : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ - ٢٧٩هـ)
- الجامع الصحيح (سنن الترمذى) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت لبنان (ب . ت) .

ابن حبان : محمد بن أحمد التميمى البستى (ت ٣٥٤هـ)
- صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط٢ ، مؤسسة الرســالة ، بــيروت ١٤١٤هـ .
-مشاهير علماء الأمصار ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار الجيــل ، بــيروت ١٤١٢هـ .

ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على العسقلانى (ت ٨٥٢هـ)
-الإصابة فى تمييز الصحابة ط ١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٨هـ .

ابن حنبل : الإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ)
- المسند ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة (د. ت) .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ، (ت ٨٠٨هـ)
-المقدمة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٩١هـ .

خليفة بن خياط : بن أبى هبيرة الليثى العصفرى (١٦٠ - ٢٤٠هـ)
-التاريخ ، تحقيق أكرم ضياء العمرى ، ط٢ ، دار طيبة ، الرياض ١٤٠٢هـ .

ابن الجزرى : المبارك بن محمد بن عبد الكريم ، أبو السعادات (٦٠٦هـ) .
- النهاية فى غريب الأثر ، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطباخى ، دار الفكر ، بيروت (د.ت) .

أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستانى
- سنن أبى داود ، تحقيق محى الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت (د.ت) .

الذهبى : الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٨٣٧هـ)
- سير أعلام النبلاء ، ط١ ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ، ١٤٠٥هـ .

رنسيمان : ستيفن
- الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، راجعه زكى على ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٩٣م .

ابن زبر الربعى : محمد بن عبد الله بن احمد
-تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، تحقيق عبد الله أحمد الحمد ، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤١٠هـ .

الزبيدى : محب الدين محمد مرتضى الحسينى (ت ١٢٠٥هـ)
-تاج العروس من جواهر القاموس ، ط١ ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ .

سالم : السيد عبد العزيز ، وأحمد مختار العبادى .
- تاريخ البحرية فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، الجزء الأول البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، مؤسسة شباب الإسكندرية ، ١٩٧٩م .

ساليفان : رتشارد أ. ساليفان
- ورثة الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة جوزيف نسيم ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٥م .

ابن سعد : محمد بن منيع الهاشمى ، مولاهم - كاتب الواقدى - (ت ٢٣٠هـ)
- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت (ب.ت)

السهيلى : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله

- الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، تعليق طه عبد الرؤف سعد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨م .

السيوطى : عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ)

- تاريخ الخلفاء ، تحقيق محى الدين عبد الحميد ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٧١م .

شامى : يحيى

- طرفة بن العبد (حياته وشعره) ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٧م .

ابن شبه : أبو زيد عمر بن شبة النميرى البصرى (ت ٢٦٤هـ)

- تاريخ المدينة ، ط١ ، تحقيق محمود شلتوت ، نشر السيد حبيب ، المدينة المنورة ١٣٩٣م .

الصالحى الشامى : محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ)

- سبل الهدى والرشاد فى هدى خير العباد ، تحقيق مجموعة من العلماء ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٤٠٤م .

الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)

- تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧م .

-جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبرى) ، دار الفكر ، بيروت لبنان ١٤٠٥م .

عبد الرزاق : أبو بكر بن همام الصنعانى .

- المصنف ، تحقيق حبيب عبد الرحمن الأعظمى ، المكتب الإسلامى ، بيروت ١٤٠٣م .

عبد العليم : أنور

- الملاحة البحرية وعلوم البحار عند العرب ، عالم المعرفة ، الكويت ١٣٩٩م .

العدوى : إبراهيم أحمد

- الأمويون والبيزنطيون (البحر المتوسط بحيرة إسلامية) ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة ١٣٧٢هـ .

العرينى : السيد الباز

- الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٢م .

ابن عساكر : أبو القاسم على بن الحسن (٤٩٩- ٥٧١هـ)

- تاريخ دمشق ، مركز التراث ، الأردن ، عمان ١٤١٩هـ .
- تاريخ دمشق ، تراجم النساء ، تحقيق سكينة الشهابى ، ط١ ، دمشق ١٩٨٢م .

على : جواد

- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٨م .

ابن فهد : عمر بن محمد (ت ٨٨٥هـ)

- إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهيم شلتوت ، مركز البحث العلمى ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ .

القرطبى : محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح

- الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق أحمد عبد العليم البردونى ، ط٢ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٤١١هـ .

ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ)

- البداية والنهاية ، ط٣ ، مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٨م .
- تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١هـ .

النسائى : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على (٢١٤ -٣٠٣هـ)

- السنن الكبرى ، تحقيق عبد الغفار البندارى وسيد حسن ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١هـ .

النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ - ٧٣٣هـ)

- نهاية الأرب فى فنون الأدب ، دار الكتب الوطنية ، القاهرة (ب. ت).

ابن ماجه : الحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى (٢٠٧ - ٢٧٥هـ)

- سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار الفكر ، بيروت (د. ت) .

ماهر : سعاد .

- البحرية فى مصر الإسلامية وأثارها الباقية ، دار الكتاب العربى القاهرة ١٩٦٧م.

ابن المبارك : عبد الله أبو عبد الرحمن الحنظلى مولاهم (ت ١٨١هـ)

- كتاب الجهاد ، تحقيق ، نزيه حماد ، الدار التونسية ، تونس ١٩٧٢م .

مجموعة من العلماء :

- المعجم الوسيط ، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، طبعته المكتبة الإسلامية ، استانبول (د.ت) .

مسلم : الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى (ت ٢٦١هـ)

- الجامع الصحيح ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، (د.ت) .

المقريزى : أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ)

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بـ (الخطط المقريزيه) ، دار صادر ، بيروت (د.ت) .
- الجامع الصحيح (صحيح مسلم) ، دار الآفاق ، بيروت (د.ت) .

ابن منظور : محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١هـ)

- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت (د.ت) .

نخبة من الأساتذة : المتخصصين بجامعة الإسكندرية .

- تاريخ البحرية المصرية ، جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ١٩٧٣م .

ابن هشام : أبو محمد عبد الملك المعافرى (٢١٣هـ)

- السيرة النبوية ، تعليق طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة شقرون ، القاهرة (د. ت).

ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ)

- معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت لبنان (د. ت)

اليعقوبى : أحمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٢هـ)

- تاريخ اليعقوبى ، دار صادر بيروت ١٣٧٩هـ .